أحمد ... وزئيفي!

قالوا إن العود أحمد. وقالوا إن أجمل الاسماء ما عبد وحمد.

وأجمل الاسماء يفضي الى اجمل المشاعر. واسمحوا لي أن أعلن مشاعري الجميلة بتمهيد السبيل أمام عودتي الى الكتابة في "الاتحاد".

واذا كان أخي رئيس التحرير سالم جبران قد اشاد "بشهامتي" حين تطوعت للمساعدة في اصدار "الاتحاد" تحت القصف الصاروخي، واذا كان تواضعه قد ردعه عن تسجيل موقفه الايجابي في هذا الموضوع، فانه يصبح من واجبي الاخلاقي ان اشيد بشهامته السابقة، حين بادر ودعاني اكثر من مرة الى الكتابة في "الاتحاد" وفي صحف الحزب الاخرى مؤكدا ان اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

وحتى يعلم من لم يعلم بعد، فأن "اختلاف الرأي" بيننا ظل بعيدا طيلة الوقت عن البرنامج السياسي الذي اسهمنا في بلورته وشاركنا في النضال من اجل تحقيقه. وآمل ان نلم ما تبقى لنا من طاقة ومن نبضات لأجل خطوة اخرى في رحلة الالف ميل على طريق هذا البرنامج.

هذا بشأن " أحمد "..وما حكاية زئيفي؟

انه رحبعام زئيفي الملقب بغاندي ظلما وعدوانا، وظلم الانجليز على الهنود وعلى غاندي ارحم بكثير من هذا الظلم. ولعل المهاتما

غاندي لم يتلق في حياته ومماته معا اهانة بمثل هذه الاهانة، والتي لا يشبهها في الاهانات سوى ما نحس به نحن عرب هذه البلاد ازاء توزير زئيفي في وقت يشهد فيه لنا الخصوم والاصدقاء بالنضج السياسي العميق. وقد عبر اخي السيد ابراهيم نمر حسين عن هذا الاحساس الشعبي الصادق بالتقزز والغضب.

وزراء عليك، ووزر، يا اسرائيل. فمثل هذا الرجل في مثل هذا الوقت، يشكل تأكيدا اضافيا على ان كلمة السلام هي لفظة مشينة في قاموس حكومة شمير-زئيفي.

لقد كان هذا الشخص قائدا عسكريا للمنطقة الوسطى. وشغل مناصب استشارية لدى بيرس ورابين وغيرهما من قادة اسرائيل. واذا كان الجانب المهني في شخصيته هو الابرز فيما مضى، فانه اليوم العنوان الأشد وضوحا لايديولوجيا الترانسفير العرقية التي ابتدعتها اسوأ قوى الظلام في اوروبا المظلمة.

حاول بعض افراد الحاشية الشميرية تبرير الحاق زئيفي بالحكومة وكأنه لعبة ائتلافية ترمي الى ابعاد المعراخ عن رئاسة اللجنة المالية، لصالح المتدينين المؤتلفين مع الليكود. غير ان هذا التبرير الذي لا نقبله، لم يقبله معنا عدد من ابرز الشخصيات داخل المعسكر اليميني الليكودي نفسه، ناهيك عن اليسار الصهيوني. وها هوذا عضو الكنيست الليكودي بيني (بنيامين) بن مناحم بن بيغن يعلن رفضه الشامل والكامل لهذا الاجراء الشميري ناعتا زئيفي بأنه "تلويث سياسي واخلاقي". ثم ان اسحق شمير لا يتورع عن تهديد وزرائه دافيد ليفي وايهود اولمرت ودان ميريدور بالطرد من الحكومة اذا هم جرؤوا على ممارسة حرية الضمير وحرية التصويت ضد الحاق زئيفي بحكومة اسرائيل.

ولماذا هذا الاستقتال من جانب شمير؟

لقد استبعدنا ذريعة الصراع على رئاسة لجنة المالية التابعة للكنيست، لأنها كما يرى المراقب العاقل، لا تستدعي مثل هذه المقامرة السياسية الكبيرة، في وقت تحظى فيه حكومة شمير بحالة من الاجماع القومي الصهيوني (الكونسنزوس).. لقاء التزامها بقواعد اللعبة الدموية الامريكية في المنطقة، واكتفائها-حتى الان- بالمكافآت الامريكية-الاوروبية، المادية والسياسية.

ويطرح نفسه سؤال وجيه: هل يرمي اسحق شمير الى تعزيز حكومته بطوق رفضي جديد بانتظار ما قد تنجم عنه حرب الخليج؟

ان السذج وحدهم هم الذين يقفون عند حد الرد الايجابي على هذا السؤال الوجيه حقا. ذلك انه لا تتوفر اية دلائل جوهرية على تحولات سياسية هامة في الموقف الاسرائيلي الرسمي الرافض للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، والرافض لمبدأ حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني، والرافض للتراجع عن القرار الارعن بضم القدس العربية والجولان الى اسرائيل.

اذن، الى اي مدى نستطيع الذهاب بالرؤيا الشميرية من خلال اقحام فيروس الترانسفير على هذا الوضع الدقيق؟ وتعرض الاجابة نفسها من خلال التيار الشميري داخل الحكومة وداخل الليكود نفسه. فمن الامور المعروفة ان اسحق شمير وارنس ومجموعتهما في الكنيست والليكود لم يتخلوا ابدا عن حالة عدم التجانس التي يشكلونها والتي تمثل الجناح الاكثر تشددا وتطرفا في الحزب وفي السلطة. وما زلنا نذكر معارضة هذا الجناح حتى لاتفاقيات كامب دافيد التعيسة.

ولعلنا لا نغالي حين نزعم ان هناك رحبعام زئيفي في اعماق كل

فرد من افراد هذا الجناح. واذا تذكرنا مخطط الترحيل الذي كان الجنرال ورئيس قلم المخابرات العسكرية والوزير الاسبق اهرون يريف قد تحدث عنه منذ اعوام، فانه يصبح جائزا الاعتقاد بأن هناك قوى حقيقية داخل جهاز السلطة الاسرائيلي، تؤمن بامكانية تنفيذ الترانسفير "تحت غطاء حرب كبيرة في المنطقة" كما ورد في المخطط الاصلي. ولعل هؤلاء يعتقدون ان الفرصة الراهنة هي فرصة مواتية، ولعل هذا هو احد الاسباب التي دفعتهم الى التحريض الارعن على العراق وتأليب العالم الامبريالي بهذا الاتجاه.

الخطر قائم. وامكانية دحره قائمة. وتتجسد هذه الامكانية في صياغة جديدة لقوى السلام العقلانية في البلاد. ونحن مطالبون ، من خلال الجبهة الدمقراطية للسلام والمساواة، بالمبادرة الى مثل هذه الصياغة الجديدة، التي ترمي الى تشكيل تحالف قطري عربي-عربي، وعربي-يهودي، يرتفع الى مستوى التحدي الكبير الذي يواجهنا الان اكثر من اي وقت مضى، التحدي التصعيدي الذي يتجاوز مسألة السلام الاسرائيلي - الفلسطيني، الى وضع اكثر تعقيدا واشد خطورة، من شأنه العودة بنا الى بدايات الصراع.

نحن تعلمنا الدرس الذي لم يتعلمه هؤلاء. وعلينا ان نلقنهم هذا الدرس بلا هوادة. ولا بد لنا من اجل ذلك، من ترتيب منزلنا اولا، واعادة الاصطفاف الوطني - الدمقراطي بشكل افضل واكثر نجاعة. تفضلوا !!

«الاتحاد» ٨ شباط ١٩٩١